الأهرام
الجمعة

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد فايز فرحات

رئيس التحرير
ماجد منير

تأسس فى ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥ . أصدر العدد الأول فى ٥ أغسطس ١٨٧٦: سليم وبشارة تقلا

الجمعة ٢ ذي القعدة ١٤٤٥ هـ - ١٠ مايو (أيار) ٢٠٢٤م - ٢ بشنس ١٧٤٠ ق - السنة ١٤٨ - العدد ٥٠١٩٤

Al-Ahram 10 May . 2024

الخط الساخن لـ«الأهرام» ١٦٥٤٥ www.ahram.org.eg

إشراف: عبدالحليم غزالى

الحضرة

رانية المهدي

كان يجلس القرفصاء على عتبة داره المتهدمة فى معظمها، ويرفع جلبابه الممزق إلى ركبتيه ليظهر ذلك الكلسون القطنى المتهدل، والذى غادره اللون الأبيض من شدة الاتساخ. كان دائما ما يمرر يده ويزيح تلك الطاقية الحمراء الطويلة؛ ليحك رأسه الصلعاء بقوة مفرطة، يلف ورق البفرة ويبصق بين الحين والآخر.

بحكم جلسته على العتب، وبحكم داره التى على الجسر الصغير الذى يعبر الترعة أيضا.. كنا نستقبل السلامات من الغادى والرائح؛ فيرد تارة ويلعن أخري، وعندما زاد عدد المارة بدأ فى التململ وأخذ ينادى على ابنته بصوت عال:

ــــيا وداد، إنتى يا بت يا وداد.

لترد وهى تهرول إليه:

ــــأيوه يا آبا

ــــخشى يابت هاتى لى قفة نلم فيها السلامات دي، كل اللى معدى وجارر له جاموسة ولا راكب حمار قال إيه يرمى السلام، ما إحنا شايفنهم وعارفنهم، هو أنا فاضى لهم.

تضحك وداد ضحكة مكتومة لينظر إليها ويكمل كلامه:

ــــبتفتحى ضبك على إيه إنت روخري، اغلى لى شوية شاى يا فالحة، حبر يا بت خلينا نبلع، عالم دماغها فاضية.

كان قد اعتاد الجلوس على حافة الترعة الصغيرة من حين لآخر، فى محاولة لصيد ما قد تجود به من أسماك غالبا لا تظهر، إلا أن الحظ قد حالفه هذا اليوم فاصطاد سمكتين.

وبعد ثوان يرى القطة الضخمة التى تسللت إلى جواره، وانتزعت نصف حظه كاملا وهربت، فينتفض من مكانه وينفض جلبابه بعصبية ويجرى خلفها، ثم يلتقط حجرا ويقذفها به:

ــــغورى جاك غارة تاخدك إنت وصحابك، بِسة سراقة.

ثم انتعلنى فى قدميه لنذهب سويا إلى مقام سيدى السيد، وهو ما زال يلعن ويسب جاره الذى لا يراعى حقوق الجيرة ويطلق قطته لتسرق الناس.أعلم أنه يكره ذلك الجار الذى رزق بالبنين والبنات من زوجته الوحيدة الجميلة الغنية الهادئة، على عكسه هو فلم يرزق إلا بتلك الفتاة رغم زيجاته الست.

عندما وصلنا أخذ يتحدث مع خادم المقام المعروف باسم سيدى العارف، والذى أخذ العهد من الشيخ صاحب المقام وأصبح العالم ببواطن الأمور وظاهرها والمفتى الوحيد لكل أهل القرية. أخذ صاحبى يشتكى له ويطلب المشورة، فأفتى له سيدى العارف بعد أن أخذ المعلوم طبعا، أن قتل القطة حلال لكن دون أن يغضب جاره، وشدد أن للجيرة حقا عظيما.

كان ذلك حال صاحبى دائما؛ عندما تواجهه أى مشكلة.. يذهب ليأخذ المشورة من خادم المقام، ويدفع له الثمن ويجزل العطاء على غير عادته؛ ليحصل على المشورة التى يريدها ويفعل فعلته دون أن يشعر بأى ذنب.

مر يوم وليلة، وكان صاحبى جالسا على عتبة داره وأنا تحت فخده النحيل أحتمى من الشمس، فيدخل علينا الجار غضبانا، ويمسك فى يده جثة القطة الضخمة وهو يصرخ:

ــــأنت معندكش جلب علشان تقتل البسة المسكينة كده، دى حيوان، كانت عملت لك إيه يغَنى ولا يعنى عملت إيه ها؟!

ليبصق صاحبى على يمينه وينظر لجاره بنصف عين:

ــــطب يا أخويا قول سلام عليكم الأول، وبعدين بسة إيه دى اللى هقتلها؟! انا ما قتلتش حد. روح شوف مين اللى خزوقك يا حلو.

ليرد جاره بعصبية شديدة:

ــــيعنى أنا بتبلى عليك يعني، ما هى فى إيدى أهي، وأنت اللى قتلتها. وأنا عارف وإنت عارف انك الوحيد فى العزبة اللى بتكره البِسة بتاعتي، هيكون مين غيرك يعني؟!

ليخرج صاحبى ورقة البفرة ويبدأ فى لفها، ويكمل حديثة ببرود شديد:

ــــأنت زعلان على البسة قوى كده ليه؟! ما أنت عندك كل حاجة هى جت على البسة يعني.

ليرد الجار:

ــــيعنى أنت اللى قتلتها؟!

فيبتسم صاحبى بشماتة:

ــــ أنا سميت السمكة بتاعتى و اطافست وكلتها، أنا ذنبى إيه بقي، الحق عليك أنت اللى مخليها تطافس على بيوت العالم.

يرد الجار الذى كاد أن يبكي:

ــــما أنت سميت السمكة علشان تقتلها.

يبصق صاحبى ماعلق فى فمه من البفرة ويقول:

ــــسمكتى وسميتها يا نعيم، ليك حاجة عندي، بص.. روح اشتكينى للعمدة وقول له حافظ سم سمكته.. بتاعته.. اللى إصطادها بإيده، وبستى الطفسة خطفتها وطفحتها وفطست. شوف هَيقول لِك إيه بقي، كان نفسى أشربك شاى بس التموين خُلص.

لينصرف الجار نعيم وهو حزين على قطته ويدعو على حافظ بكل دعوات الانتقام:

ــــمنك لله يا شيخ، ربنا ينتقم منك، حسبى الله ونعم الوكيل، حسبى الله ونعم الوكيل فيك.

ينصرف نعيم ويبقى حافظ فى جلسته وقد زاد عليها تلك الضحكة الصفراء التى أعرفها، والتى ترتسم دائما عندما يشعر بالزهو، وقد خرج صوتها شامتا منتصرا وأخذ يكمل لف البفرة و ينفث الدخان بسعادة وهو يقول فى نفسه:

ــــراجل عبيط.. بيعيط على بسة! مش مكفية كل اللى عنده، ناس طماعة بصحيحَ.

حافظ رجل بخيل لئيم، عاشرته طويلا حاولت الفرار منه أكثر من مرة، لكنه دائما يخيط أجزائى الممزقة بيديه ويبقينى بجانبه حتى اعتدت عليه ، وقد أكون أحببته فبالرغم من شخصيته الغريبة الناقمة على كل شيء إلا أنه لطيف ومضحك فى كثير من الأحيان.

أتذكر يوما كنا نعتلى الحمار فى طريق السوق، فمر حافظ على شيخ الخفر بحماره دون أن يترجل، لا أعرف ماذا كان يدور فى عقله ساعتها ليفعل تلك الفعلة الشنعاء والتى لم تمر بسلام؛ تقدم منه الخفر وأنزلوه عنوة عن الحمار، ووبخه شيخ الخفر لسوء أخلاقة وعدم احترامه لكبار البلد، وأخذ منه الحمار كعقاب وتأديب وأمر الخفر بجلده خمسين جلدة، ليرد حافظ على شيخ الخفر ويقول له:

ــــطيب يا شيخ الخفر، وحياة والديك أنا غلطان، عبيط أنا راجل عبيط، هتعمل عقلك بعقلى برده؟ طيب بص خليهم مية ولا متين جلدة حتى مش مهم.. المهم الحمار، متخدش الحمار وحياة والديك.

لا يلتفت شيخ الخفر لتوسله، وينفذ الخفر الحكم بالجلد وحافظ لا يهتم رغم الألم، وكل ما يفكر فيه هو الحمار!

وعندما تنتهى العقوبة ينطلق بعدها مهرولا وهو يحملنى تحت إبطه، يجر نفسه لمقام سيدى السيد؛ ليشتكى شيخ الخفر ويطلب منه أن يرد له حماره؛ فطلب منه خادم المقام أن يرجع إليه فى اليوم التالى على وعد بأن يدبر له الحل.

وفى اليوم التالي، تحدث معه خادم المقام صاحب المقام واقترح عليه اقتراحا غريبا كاد أن يسبب له أزمة قلبية؛ اقترح عليه أن يبيع الجاموسة الوحيدة التى لديه فى سوق الأربعاء، ويذبح البقرة أيضا ليتولى شرف استضافة ليلة الحضرة السنوية فى داره، وبعدها سيصبح من أهل الله، وساعتها طبعا لن يجرؤ أى أحد أيا كان أن يقترب منه بعدها.

فزع حافظ من الفكرة وقال:ــــده خراب بيوت يا سيدنا، خراب سواده ناقع، البقرة والجاموسة فى نفس ذات الوقت! ياسنة سوخة! لا يغور الحمار فى ستين غارة.

ليرد عليه خادم المقام وهو يلف السبحة بين أصابعه:

ــــما تقولش كده يا حافظ يا ابني، العوض من صاحب العوض، وسيدنا اختارك يا حافظ، اختارك عشان يعوض عليك، والخير يعم ومش هتلاحق عليه. بص يا حافظ، إنت بعد ليلة الحضرة ما تخلص تدفن عضم البقرة فى الزريبة اللى ورا دارك، وشوف بقى الكرم هيكون ازاي.. ده غير مقامك اللى هيبقى عالى ومحدش يقدر يطوله.

انصرف حافظ وهو يضرب كفا على كف، ويلعن شيخ الخفر، والحمار والقطة وصاحبها، والحياة بأكملها.وبالرغم من كل ذلك عقد العزم على التنفيذ؛ استيقظ باكرا يوم السوق وأخذ الجاموسة وباعها، وعاد بكل لوازم الليلة؛ ذبح البقرة، وأعد الطعام، وجهز الدار؛ لاستقبال المشايخ وأكابر البلد وأهل الله.

وقبل أن تبدأ الليلة، وجد الخفير على بابه وهو ساحب الحمار بيده، وقدمه له وقال:

ــــشيخ الخفر بيقول لك حمارك أهو، كرامة لمقام الشيخ والليلة المبروكة دي.

ثم يميل أكثر ويهمس:

ــــبقول لك إيه يا حافظ، صحيح أنت دابح بقرة بحالها؟!

ليأخذ حافظ الحمار ويقول بامتعاض:

ــــأيوه يا سيدي، دابح بقرة بحالها، ابقى تعالى اتعشي.

ليرد الخفير وهو يدير ظهره لينصرف:

ــــتعيش يا حافظ، ربنا يكتر لحمتك ومرقها، سلام عليكم.

هنا شعر حافظ أن رجوع الحمار هو بداية الكرم الكبير الذى بشره به خادم المقام؛ فتبسم رغم ضيقه.

جاء الليل، وتوافد الجميع على دار حافظ، وبدأ المنشدون فى وصلات الإنشاد، وعقدت حلقة الذكر وأخذ الجميع يتمايل مع الكلمات والتسابيح، وحافظ يحاول أن يخفى ضيقه ولا يستطيع أن يصدق ما يفعل، أخذ يخترق الجموع حتى وصل لخادم المقام وبدأ فى سؤاله، وعندما لم يسمعه بدأ فى نغز جنبه:

ــــيا سيدنا، هو الكرم ده هيكون ايه يعني؟ ودفن العضم فى الزريبة الغرض منه إيه؟ يعنى هيحصل إيه يعنى يا مولانا؟ ليرد عليه خادم المقام:

ــــده وقته ده يا حافظ يا ابني، أذكر مع الناس واكرم ضيوفك علشان تكرم.

ينفض حافظ جلبابه ويقول:

ــــماشي، ماشى يا سيدنا، بس وحياة والديك خلى بالك لحسن حد يهز الكُلوب والرتينة بتاعته تقع لحسن لو وقعت هتضلم على الكل يا سيدنا، وبدل ما تبقى ليلة مبروكة هتبقى مطينة بطين.

يقول ذلك وهو يبتعد عن حلقة الذكر ويذهب الى عتبة داره، يرفع جلبابه ويجلس القرفصاء كالعادة ويلف البفرة، ويبصق ويطلق الدخان، و يصرخ بصوت مكتوم من حين لآخر:

ــــأوعى الكلوب يا سيدنا وحياة والديك، أوعى الكلوب.

تمر الليلة وينفض الجميع، ويجرى حافظ ليجمع العظم ويسارع بدفنه فى الحظيرة وهو يضرب كفا على كف:

ــــيخرب بيت أبوكم يا جعانين، إيه الداناوة دي، العضم ممسوح مفهوش فتفوتة لحم!

ينتهى سريعا من دفن العظم، ويستلقى بجانبه من التعب، و أنا أستقر تحت رأسه فى هدوء وسكينة كالعادة.

عند بزوغ الشمس، يستيقظ حافظ ليجد الحال كما هو لم يتغير، ويسمع صوت الخفير ينادى فينتعلنى بسرعة فائقة ويهرول مبتسما ويقول:

ــــأيوة بقي، أكيد الكرم كله جاى معاه، مدد يا مولانا مدد.

يخرج للخفير ليجده فارغ اليدين، ويسمعه وهو يقول:

ــــشيخ الخفر بيقول لك.. البلد دى ليها أسياد يا حافظ، واحترامهم واجب. البقرة والجاموسة دول كانوا قرصة ودن كده، علشان بس تعرف مقامك قصاد أسيادك، وبرده تعرف حقوق جيرانك عليك، تعيش وتاخد غيرها يا حافظ، يا سماوى البسس.

ينصرف الخفير متشفيا فى حافظ الذى يرتمى على العتبة، ويخلعنى من قدمه ويرفعنى فى الهواء، وينزل بى على رأسه وهو يولول ويقول:

ــــيا خراب بيتك يا حافظ، إلاهى كنت اتشكيت فى نواضرك ولا انقطعت رجليك قبل ما تعدى وأنت راكب الحمار، اتجافصت يا أخويا، أهو الحمار رجع والجاموسة والبقرة ضاعوا. منك لله يا نعيم أنت اللى دعيت علي، اه يا خراب بيتك يا حافظ.

حِينَ يَجفُّ النَّهرُ

عباس محمود عامر

يَا سَيّدَتي
حِينَ يَجفُّ النَّهْرُ
وَتَصَمُتُ فيك الشّطّآنْ
وَتفرّ عَقَاربُ أَيّامك فى الْهِجْرَانْ
تَسْحَلُ حُلْمًا كَانَ .. فَمَاتْ
تَركَتْ فِى الْبَدْرِ خُسُوفًا لِلْأحْزَانْ..

يَاسَيّدَتي
إِنّى أَقْرَأُ فِي عَيْنَيْك لُغَةً حَيْرَي
رِمْشًا .. رِمْشَا
رَفًا..رَفًا
أَقْرَأُ هَمْهَمَةَ الْوَرْدِ
هَمْسًا هَمْسًا
أَقْرَأُ فيك دَلَالَ القطفِ
حِينَ أَمدُّ الكَفَّ
وَحِينَ مَزَزْتُ الحلْوَي
فِي شَهْدِ الثّمَرَاتْ
أَقْرَأُ لُغَةَ الْأُنْثَي
إِذْ تَنْقَبِضُ حُرُوفكِ
حَرْفًا حَرْفا
حِينَ أَضُمُّك بَيْنَ حَنَايَا الرُّوحْ
يُسْرِعُ قَلْبِى نَبْضا نَبْضا
حِينَ تَهمُّ الْجَذْوَةُ
تُشْعلُ فيك الْأَسْرَارْ
لَكِنْ حِينَ نُغَامرُ
فِى حُضْنِ النّارْ
بَيْنَ الصّهْدِ أَرَاك شِهَابًا
يُلْمَعُ فِى فَلَك السّهَرَاتْ
شَمْسًا قَمَرًا
لَيْلَ نَهَارْ
وَالشّمْعَةُ فَاضَتْ لَهَبًا
ذَرْفًا ذَرْفًا ..
لَكِنْ يَا سَيّدَتِى أُجَنُّ
مِنْ سَحْرِ الْمَاسِّ فِى عَيْنَيْك
مِنْ شَغَفِ الْيَاقُوتِ عَلَى وَتَرِ الْعِشْقِ
مِنْ شِعْرٍ يَتَغَنّى فِى وَصْفِ
تَفاصيلك
حِينَ تَهِيمُ الشّمْسُ بصَدْرِ نَهَارٍ
كَانَتْ رُوحَانَا
كَانَ النّبْضُ لُحُونًا عَزَفَتْ
هَمْسَ الْقُبْلَةِ فِى شَفَتَيْك
صَهْدٌ أَسْخَنَ ثَلْجَ الْقَلْبِ فَذَابَ
بَلَلَ فِينَا الْجَسَدَ
فِى حُضْنِ سَحَابَةْ
تَعَرّتْ فَوْقَ السّطْرِ حَرُوفك
نَطَقَتْ بَالِ□هَاتْ..
أَشْرَبُ كَأْسَ أَنُوثَتِك
أَدْمَنْتُ عَبِيرَك
ثَمِلًا أَتَرْنَحُ فِى رَوْضِ جَمَالِك
مدّى وَرْدًا مِنْ يَدَك ،
أَشُدّك بَيْنَ ذِرَاعَيّ
يُصْهِرُنِى صَهْدُ حَنَايَاكِ
بَحْرًا مِنْ شَغَف
يُلَاطِمُهُ لَهَفٌ وحَنَيْنْ
حُورِيّةُ قَلْبِي
مدّى الْوَصْلَ وَغُوصِي
فِى شِعَابِ وُرُودِى
تَسْكُنِينْ
تُخَاصِرُكِ الرُّوحُ فِى رَقْصَةِ الْمَوْجِ
فِى كُلِّ حِينْ ..
حِينَ يَحُطُّ الْعُصَفُورُ عَلَى نَهْدَيكِ
يَنْقُرُ فيك الثّمَرَاتْ
فَكّكَ أَعْصَابَ الدّوْحَةْ
أَضُمُّ كُلّ شَتَاتِ الْأَنْثَي
فِى لَوْحَةْ
أَتَحَسّسُ فيك الْأَلْوانْ
أَتُوهُ بَيْنَ اللّمَسَاتْ
قَبَسٌ مَدّ دُخَانَ الْجَمْرَةِ
فِى عَيْنِ اللّهَفَاتْ
صَارَتْ شُهُبًا تَتَلَوّى شَبَقًا
نَافُورَةُ شَوْقٍ مِنْ نَارٍ
دَفقَتْ سُحُبًا
تطْفِئُ ظَمَأَ اللّيْلَاتْ ..

الأهرام ملحق الجمعة: مجلس التحرير: خالد عميرة . أحمد السماحى
الإخراج الفنى: أحمد طلعت دياب - محمد عرفان

تتجاهل قاعدة البقاء للأفضل وليس للأكثر شهرة

الأكثر مبيعا
نشر الخداع وخداع النشر!

د. عماد عبد الراضى

جاء أحد الكُتّاب يطرق باب دار النشر، وقابل مديرها واتفقا على نشر كتاب، وحينما سأله مسئول النشر عن عدد النسخ التى يريد طباعتها، أجاب الكاتب بكل ثقة: أريد طبع نسختين فقط. نظر إليه الناشر بدهشة، وهو يعيد الرقم لعله أخطأ فى سماعه، لكن الكاتب أعاد قوله مؤكدًا أنه يريد طباعة نسختين فقط.

وهكذا نفدت «الطبعة الأولي» من الكتاب «النسختان»، وتوالت الطبعات التى يوزع الكاتب نسخها كلها على أصدقائه، وهى تحمل عبارة خادعة تنافى الحقيقة تمامًا وهى «الأكثر مبيعًا».

هكذا تدار الأمور فى الكثير من دور النشر التى تلجأ للخداع فى محاولة للترويج لكتبها، وفى هذا التحقيق نلقى نظرة شاملة على هذه الجملة الرنانة «الأكثر مبيعًا»، وما رأى الكتاب والناشرين والقراء فيها، وهل هناك ضابط قانونى يحكم ترويج الكتب والإصدارات بهذا الشكل الذى ينطوى على خداع واضح؟

....

ألاعيب دور النشر

يلقى الشاعر والروائى أحمد فضل شبلول باللائمة على بعض دور النشر التى تتلاعب بالقارئ والكاتب معًا بعبارة «الأكثر مبيعًا»، فيقول: ظاهرتان انتشرتا فى السنوات الأخيرة ترتبطان بعالم الكتب وعالم الأخلاق معًا، وكلتاهما تشبه الأخري، لأنهما وجهان لعملة واحدة، الظاهرة الأولى هى «الكتاب الأكثر مبيعًا»، والثانية هى «حفلات التوقيع»، ولنتوقف عند الظاهرة الأولى وهى ظاهرة الكتب الأكثر مبيعا، أو أكذوبة «الكتب الأكثر مبيعا»، ولم نر هذا فى عصر نجيب محفوظ ويوسف إدريس ويوسف السباعى وإحسان عبد القدوس وأنيس منصور وغيرهم، وهذه الظاهرة من صناعة بعض دور النشر –للأسف الشديد– التى تظن أن هذا هو سبيلها للترويج للكتاب الجديد، وبعضها يستكتب بعض النقاد المشهورين للكتابة عن كتب الدار، مقابل مبلغ نقدى معين، يدفعه الناشر، أو قد يدفعه المؤلف من الباطن، للترويج لهذا الكتاب، أو ذاك، ظنًا منهم أن هذا يسهم فى أن يكون الكتاب هو الأكثر مبيعًا، وطبعًا لا يوجد من يستطيع أن يُجرى عملية إحصاء للكتب المطبوعة، فنعرف كم نسخة طبعت وكم نسخة بيعت، لا أحد يملك هذا إلا الناشر الذى يدّعى أن هذا الكتاب هو الأكثر مبيعا من غيره، وحتى المؤلف نفسه لا يعرف عدد النسخ الحقيقية المطبوعة من كتابه.

وأضاف: نتساءل على أى أساس يكون هذا الكتاب، وليس غيره من الكتب التى ربما تكون أكثر أهمية وأكثر فائدة وأكثر مبيعًا فعلا، ولكن لا توجد آلة إعلامية تروّج لهذا الكتاب الجيد وتضع على غلافه عبارة «الأكثر مبيعًا»؟، وبعض دور النشر الآن لا تكتفى بأن يدفع المؤلف ثمن نشر كتابه، ولكن تطلب منه أن يدفع أيضا تكاليف حفل توقيع كتابه الذى سوف تستدعى الدار له كبار الأدباء والنقاد لتدشين الكتاب، وثمن تأجير قاعة فخمة فى أحد الفنادق أو أحد الأندية، وتعده بأن تضع على كتابه عبارة «الكتاب الأكثر مبيعًا» فيسيل لعاب الكاتب أو المؤلف ويدفع أيضا مع تكاليف الكتاب تكاليف حفل التوقيع، ومكافأة النقاد والصحفيين أو قنوات التليفزيون التى من يمكن أن تأتى لتغطية «الحدث الكبير» للمؤلف العظيم، وأيضا تكاليف عبارة «الأكثر مبيعًا»، فتربح أضعافا مضاعفة، ويعيش مثل هذا الكاتب وهم أن كتابه الأكثر مبيعًا بالفعل.

وتابع: فى أحد معارض الكتب وجدت كتابًا لاسم مجهول بالنسبة لى ومطبوع على الغلاف عبارة «الطبعة 46»، فتوجهت للناشر وسألته: كم تطبع من كل طبعة لهذا الكتاب؟ نظر لى ولم يُجب، وتصادف أن ذهبت لجناح آخر فوجدت الكتاب نفسه مطبوع عليه العبارة «الطبعة 27»، فإذا كانت الطبعة 27 لم تزل موجودة، فكيف للناشر أن يطبع الطبعة 46؟ فأدركت أن المسألة كلها تدليس فى تدليس، وكذب إعلامى صريح.

واستطرد شبلول: الظاهرة الثانية التى تُعد الوجه الآخر للعملة هى ظاهرة حفلات التوقيع التى تنطبق عليها مقولة «اسمع ضجيجًا ولا أرى طحنًا»، فتجد الدعوات تنهال عليك، خاصة فى الفيس بوك، لحضور حفل توقيع الكتاب الفلانى للكاتب العلاني، فأتصور أننى سأجد طوابير أمام منصة التوقيع التى يجلس عليها الكاتب فى المكان والزمان المحددين، إذ يشترى القارئ الكتاب، ويقف فى هذا الطابور طمعًا ورغبة فى توقيع المؤلف على صفحته الأولي، هذا طقسٌ من طقوس حفلات التوقيع الحقيقية، ولكن لدينا لا تجد سوى أصدقاء المؤلف وقد يكون معه عدد من أفراد أسرته، الذين حضروا مجاملة. واختتم كلامه متسائلا: فهل مثل هذا المناخ يساعد فى خلق قارئ حقيقى ذهب من تلقاء نفسه لشراء الكتاب قبل أن ينفد من السوق، حسبما يشير الإعلان فى دعوات حفل التوقيع؟ وهل ارتفعت بالفعل نسبة بيع الكتاب جراء عمل حفل توقيع له، أم ينفضّ المولد عقب الانتهاء من حفل التوقيع، ولا أثر للكتاب بعد ذلك ولا لصاحبه؟

تزييف عمره قصير

وينتقد الروائى والناشر خليل الجيزاوى هذه الظاهرة قائلا: هذا الأمر عبارة عن تزييف، وهذا التزييف عمره قصير، وصفحات التاريخ الأدبى تسجل الحقيقى الأصيل، وتسجل أيضا الزائف المخادع الذى ينكشف سريعًا ويجلب العار والفضيحة لكل من يشارك فى التزييف، سواء كان المزيف هو المؤلف أو الناشر. وتابع الجيزاوي: يقول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ «فى مايو سنة 1952 سلمتُ روز اليوسف رواية خان الخليلى وطبعت 15 ألف نسخة فى سلسلة الكتاب الذهبى الذى تصدره المؤسسة، وإذا بالنسخ تنفد فى أسبوع، لأن روز اليوسف نفذت حملة إعلانية كبيرة، وهكذا كانت هناك طبعات ثانية وثالثة ورابعة، وهناك فارق كبير بين أن تطبع كتابك فى دار نشر، وأن تطبعه فى سلسلة شعبية، وإذا كان السحّار له الفضل فى طباعة كتبي، فإننى مدين بالانتشار إلى الكتاب الذهبي».

ويضيف: تصريح نجيب محفوظ يؤكد أن الحركة الأدبية عرفت ظاهرة الكتب الأكثر مبيعًا من أوائل الخمسينيات مع انتشار سلسلة الكتاب الذهبى من خلال نشر رواية «خان الخليلي» التى طبع منها أكثر من 35 ألف نسخة، فى طبعتين أولى وثانية، بحسب تصريح نجيب محفوظ مع جمال الغيطاني، وقصص «أرخص ليالي» ليوسف إدريس عام 1954، ورواية «فى بيتنا رجل» لإحسان عبد القدوس عام 1956، ضمن سلسلة الكتاب الذهبي، الذى أطلق عليه نجيب محفوظ اسم «الكتاب الشعبي»، وطبع 15 ألف نسخة فى الطبعة الأولي، و20 ألف نسخة فى الطبعة الثانية.

وأردف الجيزاوي: إذن فالكتب الأكثر مبيعًا ظاهرة قديمة نبعت من طبعات حقيقية متعدّدة، لكن خلال الفترة الأخيرة انتشرت ظاهرة الكتب الأكثر مبيعًا، بصورة زائفة ومضلّلة للحركة الأدبية والثقافية، وهى ظاهرة تروج لها بعض دور النشر الخاصة الصغيرة، وبصفتى أعمل فى مجال النشر منذ أكثر من 30 عامًا أعرف الكثير من الكواليس وبالأسماء، والستر أولى من التصريح، لكن يمكننى الكشف عن تفاصيل واقعة حدثت معى شخصيًا منذ عشر سنوات، فقد كلمنى أحد الأدباء من محافظة البحيرة وطلب مقابلتى بشكل عاجل، واستمرت المقابلة أكثر من ساعة، والكاتب يشرح ما يتوهم أنه سيرفع من نسبة مبيعات روايته التى لم توزع خلال عامين سوى 50 نسخة.

واستطرد: كان اقتراحه أن أنزع غلاف روايته، الطبعة الأولي، التى طبعت منها 500 نسخة، ونعيد تصميم أربعة أغلفة، ونثبت على كل مائة نسخة رقم طبعة مختلف: الطبعة الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، وهكذا، وسمعته حتى انتهى من سرد اقتراحه، ثم قلت له: هذا تزييف للحركة الأدبية. فقال بكل ثقة، ولكن هذه الطبعات المتعددة والمتتالية ستعمل لاسمى بروباجندا، وروايتى ستصبح من الكتب الأكثر مبيعًا. فقلت منهيًا هذا الحوار: ولكنّى أرفض المشاركة فى هذه المسرحية الهزلية.

عوامل عدم المصداقية

واعترف أشرف رمضان مدير النشر بإحدى الدور بأن هذه الظاهرة تعكس عدم المصداقية وعدم الشفافية لدى بعض دور النشر والمؤلفين أيضا، وقال: هناك حالة من عدم الشفافية تسيطر على بعض دور النشر، والتى تنتقل بالتبعية إلى المؤلف، الذى يعيش وهم «نفاد الطبعة الأولى والثانية، وربما الثالثة والرابعة، وهذه الدور تلجأ إلى حيلة «نفاد الطبعة» كنوع من الدعاية للكتاب، معتمدة على أن القارئ لا يطلع على حجم الطباعة الفعلى للكتاب، فبعض دور النشر بالاتفاق مع المؤلف، تطبع 50 نسخة أو أقل وتطلق عليها «الطبعة الأولي»، بينما الطبعة الأولى لدور النشر الكبيرة لا تقل عن 1000 نسخة.

وأضاف: ما يحدث الآن من عدم مصداقية مع القارئ يرجع إلى عديد من العوامل، أهمها تكاليف الطباعة الباهظة التى تضاعفت مرارًا فى الشهور القليلة الماضية، أيضا تراجع حجم المبيعات بشكل كبير، مع ارتفاع تكاليف المشاركة فى المعارض الداخلية والخارجية.

وتابع: الكثير من دور النشر أغلقت بسبب تراجع صناعة النشر وارتفاع التكاليف، ولا بدّ من تدخل الدولة لدعم هذه الدور، باعتبارها جزءًا من القوة الناعمة الثقافية لمصر، فكانت مصر رائدة فى صناعة النشر، أما الآن فلقد تراجع هذا الدور بشكل ملحوظ، فى حين أن دولا مجاورة بدأت تهتم بهذه الصناعة، وتروج لها، بل تدعم ماديًا دور النشر والمؤلفين.

وأردف: فالحركة الثقافية عمادها الكتاب، والكتاب الورقى ما زال حيًا فى كل بيت مصرى على الرغم من التطور التكنولوجي، فلا غنى عنه فى أى زمن من الأزمنة، مثلما حدث فى صناعة الصحافة، وما زالت الصحف الورقية تحظى باهتمام كبير لدى قطاع من الشعب، على الرغم من التقدم الهائل فى مجال المواقع الإلكترونية، أيضا التليفزيون لم يلغ الراديو أو السينما، فلكل مجال جمهوره الذى يبحث عنه، وهذا ينطبق على الكتاب الذى سيظل محور اهتمام فئة كبيرة من القراء.

فيلم هابط

هل يتأثر القارئ بهذه الجملة الخادعة؟ يقول د. إبراهيم جابر وهو مدرس من مدينة طنطا بمحافظة الغربية، والحاصل على المركز الأول فى المشروع الوطنى للمعرفة عام 2022: لا أعتد بهذه الجملة، وأعدها فيلمًا هابطا من ألاعيب الناشرين، ولى تجربة فى هذا الأمر، فحينما تخرجت فى الجامعة عملت مراجعًا ومدققا لغويًا بإحدى دور النشر، وكنت قريبًا جدًا من عالم الناشرين، ومعلومتى الأولى وقتها كانت أن الناشر نصفه مثقف ونصفه الآخر تاجر، لكن مع الوقت عرفت أن الناشر 80% منه تاجر و20% منه مثقف، وأنه لا ينشر إلا إذا رأى فى الكتاب أو الإصدار ربحًا.

وأردف: جملة «الأكثر مبيعًا» قرأتها أولا على الكتب المترجمة، فكانت أغلفتها تحمل أرقام توزيع مبالغًا فيها، فى تلاعب واضح بالأرقام، وأنا كقارئ لا أمتلك قاعدة للبيانات تخبرنى بالعدد الحقيقي، وهكذا يريد النشر أم يصنع «بروباجندا» لإصداراته، وإن صدقت أن هناك كتبًا «أكثر مبيعًا» بالفعل فيمكن أن أصدقها مثلا فى كتاب «الشعر الجاهلي» للدكتور طه حسين وأو كتب الشيخ محمود شاكر أو كتب د. إبراهيم الفقى التى حققت مبيعات هائلة، فالأكثر مبيعًا بالنسبة لى هى التى يكون لها أثر على أرض الواقع، ويكون فيها أخذ ورد، وقول وقول آخر، ورأى ورأى آخر، ويكون لها تأثير فى نفوس القارئين.

وتابع جابر: قبل عدة أعوام نشر اللاعب محمد صلاح صورة له وهو يقرأ كتاب «فن اللامبالاة»، وانطلق الناس فى البحث عن الكتاب رقميًا أو فى طبعاته الورقية، وبعد ذلك انتهى الأمر إلى لا شيء، فلم يعد للكتاب أثر، أو نظمت له حلقات نقاش أو ندوات.

واختتم جابر حديثه بالقول: فكل ذلك طرق للتسويق والتوزيع، وأظن أن الناشرين قد أتعبهم نشر الكتب إلكترونيًا، فأرادوا أن يروجوا لبضاعتهم بمثل هذه الجمل، فأنا الآن أقرأ عددًا من سلسلة «عالم المعرفة» التى توزع أعدادًا كبيرة على مستوى الوطن العربي، ولم يكتبوا يومًا أنهم «الأكثر مبيعًا»، ومنذ عام تقريبًا أعادوا نشر كتاب «التفكير العلمي» فى طبعته الثانية، لم يكتبوا أنه «الأكثر مبيعًا»، وهكذا الناشر لا بدّ أن يكون عنده صدق مع نفسه، كى يكون عنده احترام للقارئ.

ضوابط قانونية

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة: هل هناك ضوابط قانونية تحكم هذا الأمر أم أن الأمور كلها فى يد الكاتب والناشر يفعلا ما يشاءان؟ يجيب عن ذلك الكاتب والمحامى عصام الدين جاد، فيقول: مهنة «النشر» تُحمّل العاملين بها مسئولية مجتمعية مهمة، بصفتها الأداة الرئيسية والمساعدة فى إخراج وإبراز الكتب والإصدارات، ولا يقل عن ذلك دور «الكاتب» فى أداء مهمته من خلال رسالته السامية والمهمة، إذ يسهم الكاتب والناشر معًا فى بناء المجتمع من خلال كتاباتهما وأهدافهما فى طرح العلوم الآداب، لكن بعض تصرفات بعض الكتاب والناشرين لا تتماشى مع مقومات رسالتى النشر والكتابة من خلال الإعلان «غير الحقيقي» عن طبعات متتالية لنفاد النسخ، تسيء لجماعة المنتسبين للرسالتين، فهذه الأفعال قد تؤدى إلى الحط من قدرهما، وتكسر الصورة التى بُنيت عليهما من أمانة الكلمة.

وتابع: فآداب المهنة وضعها آباء هذه الرسائل، وسعوا إلى ترسيخ أعراف وقواعد ليتمسك من يتحمل مسئولية النشر، سواء الكتّاب والناشرين على حد سواء، فالمادة 147 من قانون الملكية الفكرية متّعت المؤلف بحقه الاستئثارى فى استغلال مصنفه كيفما يشاء، لكن قانون اتحاد الناشرين –بصفته الجهة المنظمة لمهنة النشر– أوقع على عاتق الناشر مهمة حظر الأفعال التى قد تسيء إلى شرف المهنة والرسالة وكرامتها. وأنه قد يُسأل تأديبيًا، فى حالة تفعيل لجنة مختصة داخل الاتحاد لتقييم الأداء المهني، بعد وضعهم قواعد تكون ملزمة لمنتسب المهنة.

وأشار إلى أن المادة 12 من قانون اتحاد الناشرين تقضى فى حالة صدر من أحد أعضائها ما يمس كرامة المهنة أو شرف التعامل، أو ما يلحق بالاتحاد ضررًا ماديًا أو أدبيًا، بتوقيع الجزاء المنصوص عليه فى المادة 30، والتى تتدرج عقوباتها على العضو من توجيه الإنذار أو اللوم، أو الحرمان من النشاط أو الترشيح لتنظيماته أو إسقاط العضوية.

وأضاف: ألزمت المادة 55 من قانون نقابة اتحاد الكتاب أعضاءها فقط –المقيدين بجدولها–، بتوخى مبادئ الشرف والأمانة والنزاهة فى سلوكه المهني، فاستغلال البعض عامل الدعاية المغاير للحقيقة يضر بالمؤلف والناشر، وقد ينشأ نزاع فيما بينهما، لأن بعضهم لا يحرر العقود وما يترتب عليها من عدم وجود بيان محدد بإجمالى النسخ بعدما أعلن كلاهما طباعة نسخ جديدة، بما قد يتسبب فى افتعال الأزمات والقضايا فيما بينهما، ويتسبب فى سوء سمعتهما، وقد يؤدى إلى تشويه الغير بشكل غير مباشر، ويقلل من كيانه الثقافي. وأردف: على العكس من ذلك ففى ظل التطور التكنولوجى للمنشورات الإلكترونية، من الممكن اكتشاف حقيقة خدعة «الأكثر مبيعًا»، لاعتماد بعض المنصات الجديدة على الشفافية الخالصة من إظهار إجمالى النسخ المبيعة، بالإضافة إلى أن القياس الحقيقى يكون فى مدى قوة العمل واستمراره، وبقاء المادة الإبداعية أو العلمية وليس بشهرتها فقط. وقال مختتمًا حديثه: الشهرة عامل مؤثر طبعًا، لأنه مبنى على الجهد والسعي، لكن رقابة الكاتب على أفعاله تتعلق بمدى إيمانه بكتاباته ومدى تأثيرها على القارئ، وإيمان دار النشر بسياسة التحرير والنشر التى وضعتها، لكن نسبة هذه التصرفات قليلة، لكن هناك أمثلة فعلية لكتّاب ودور نشر نجحوا بإنتاجهم وإيمانهم وإخلاصهم فى أداء رسالتهم الإبداعية على أكمل وجه.

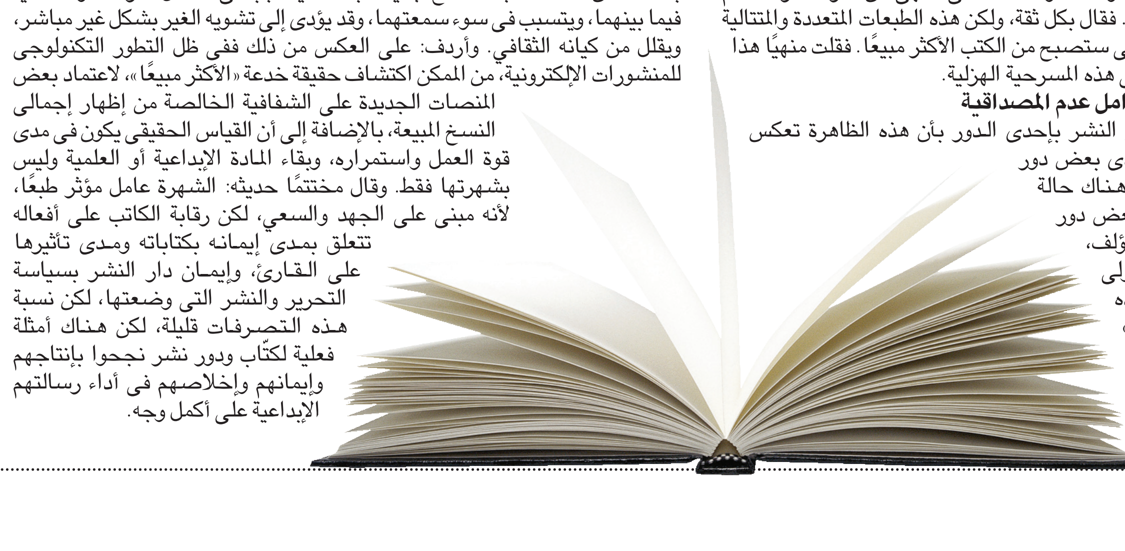

أحمد فضل شبلول: أكذوبة لم نر مثلها فى عهد المبدعين الكبار

أحمد فضل شبلول

خليل الجيزاوى: تزييف عمره قصير والفضيحة خاتمة!

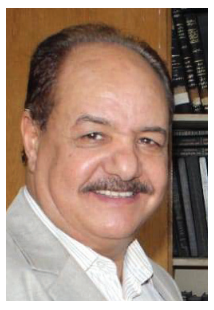

خليل الجيزاوى

أشرف رمضان: نتاج عدم شفافية بعض دور النشر والمؤلفين

أشرف رمضان

د. إبراهيم جابر: فيلم هابط من ألاعيب الناشرين

عصام الدين جاد: يجب تفعيل قانون اتحاد الناشرين لمعاقبة المزورين

د. إبراهيم جابر

عصام الدين جاد

على الرصيف

استدعاء ولى الأمر؟!

دينا ريان

لقد كانت صديقتى التى اكتفت بطفل وحيد هى أكثرنا معاناة وكأنها أم لعشرة أطفال، طالما واسيتها وربت على كتفها، وساعدتها فى البحث عن أطباء نفسيين حتى تجتاز المرحلة الدراسية الأولى فى عمر ابنها.

فقد كانت على أهبة الاستعداد يوميا لتتلقى من مدرسة ابنها الصغير استدعاء لولى الأمر، والطريف أن شكوى المدرسين بربطة المعلم، تنحصر فى أن ابنها «عبقرى»!!

اضطرت أم العبقرى فى بداية حياتها مع طفلها الوحيد، إلى الذهاب إلى مدرسة تمتلكها صديقة لنا، حتى تساعدها فى التعامل مع هذا الطفل المميز، وكانت مغامرات تعقبه لضبط مفاجآته المدمرة فى حديقة الأطفال أو الفصل فى حد ذاتها تصلح أن تكون سيناريو لقصص الإثارة الكارتونية السينمائية.

كان الطفل الوحيد الذي يدخل المدرسة ويلعب فى حديقة الأطفال، ليخرج فى نهاية اليوم وجيوبه منتفخة بالحجارة، وبدأت عملية التفتيش اليومية للتأكد من أنه لا يدخل المدرسة بها حيث يجلبها من المنزل، لأنه بكل بساطة ملعب الحضانة مفروش «بالموكيت» الأخضر وليس هناك أى مجال للطوب أو الحجارة، لكن «الطفل الحيلة» كان يذهب إلى الشجرة اليتيمة فى الحديقة وينزع طرف الموكيت ويبدأ فى الحفر حتى يصل إلى أعماق جذوع الشجرة ثم يتعامل مع ما يجده من كنوز غير مرئية بالنسبة للأطفال العاديين!

المهم أن أصحاب المدرسة الذين هم أصحاب «أم الطفل العبقرى»، لم يحتلمو الا الطفل ولا دموع الأم المحتارة يوميا فى كيفية معالجة ابنها من أفعاله غير المتوقعة.

ولأول مرة أسمع أن يطرد طفل من أولى حضانة، وهم يضحك وهم يبكى، واجتمعت صديقات الأم وأنا على رأسهم نبحث فى إمكانية إيجاد مكان فى مدرسة تحتمل العبقرية!!

وبالفعل ومع أول امتحان للقبول فى أولى ابتدائى، خرجت المسئولة عن الاختبارات تزف بشرى أن هذا الطفل يحتاج إلى مدرسة العباقرة!!

وعند هذا الحد وجدت صديقتنا، أم العبقرى، تقع على الأرض منهارة وهى تكاد تقبل يد المسئولة عن المدرسة ليقبلوا طفلها، خاصة أنه متقد الذكاء ومتمرد فى نفس الوقت، ومع الوساطة استطعنا إقناع المدرسة بقبوله، ومن هنا بدأت سلسلة من قصص الكوميديا «الفارص» بطلتها الأم الهادئة الرومانسية المهذبة، المستكينة التى كانت تتلقى وبدون مبالغة – رسالة شبه يومية – استدعاء ولى أمر، أما الكارثة، إما السؤال عن مساعدة فى كيفية التعامل أو لإقناع الأم والأب بضرورة البحث عن مدرسة لعباقرة، فالطفل ينتهى من فهم الدرس ثم يبدأ فى الشغب داخل الفصل، هو طفل يحتمل كل أنواع العقاب، بل ويتعامل معه وكأنه يلعب على قطعة شطرنج، هو فيها الملك والجنود والطابية والفيل والحصان.

أصبحت أم الطفل العبقرى حديث المدرسة اليومى، ولم يتوان المدرسون والمربون على مدى أعوام الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية عن محاولة إيجاد حل يرضى جميع الأطراف ولم يجدوا.

كتبت عن احتياجنا لمدارس أطفال رقصوا على سلالم التعليم، حيث إن مستوى ذكائهم تحت المتوسط بقليل، وكان ذلك فى نهاية الثمانينيات وحتى الآن لم يحرك ساكنا.

لكننى خفت أن أكتب عن احتياجنا لمدارس للعباقرة، حيث إن الطفل العبقرى يعانى ويشقى من حوله إذا لم يجد أسلوبا مناسبا لفهمه ورعايته اجتماعيا وعلميا ونفسيا، تماما مثل الأطفال دون مستوى الذكاء المتوسط بقليل.

كلمات

هبة من السماء

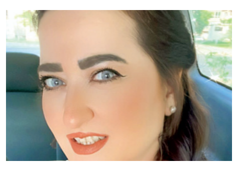

د. هبة عبدالعزيز

كان مشوار حياته مليئا بالأحداث، ذهب لحفظ القرآن في سن الخامسة بكتّاب «بشتاك» الملحق بمسجد فاضل باشا في درب الجماميز بالسيدة زينب، وكان والده مأمور قسم الجمالية، وبعد أعوام من الحفظ رأى شيخه انه متميز في التلاوة، فدرس التجويد لإثراء الموهبة بالعلم وكان حلمه أن يتجه الى الأزهر الشريف للدراسة الا ان رياح الحياة أتت بما لا يشتهى، حيث توفى والده وأصبح هو العائل لاسرته، وظل يتلو القرآن في المسجد وبدأ الإقبال عليه ودعوته في المناسبات حتى ذاع صيته في أرجاء المحروسة، ثم تزوج وأنجب أربعة ابناء.

لم يقتصر تميزه على حنجرته الذهبية التى تتلو القرآن وكأنها قيثارة السماء، ولا لأن مرونة صوته تدثرك بالطمأنينة والصدق النابع من يقينه بما يقرأ، ولكنه كان رحيما يحنو على كل محتاج، فحين توفى صديق له أثناء تلاوته الآية الكريمة من سورة الضحى «فأما اليتيم فلا تقهر» بكى بشدة وراح لابنة صديقه اليتيمة وخصص لها مبلغا من المال الى أن تزوجت.

كان عزيز النفس فبعدما أصيبت حنجرته بمرض خطير رفض أي مساعدات مالية للعلاج رغم قصر يده وقلة حيلته فهو لا يمتلك أموالا تسمح له بالعلاج!

إنه الشيخ محمد رفعت الذي ولد ورحل في ذات اليوم الموافق 9 مايو عن عمر يناهز 68 عاما، وكان حلمه أن يتم دفنه في السيدة نفيسة وبالفعل تم منحه قطعة أرض بجوار المسجد وقام ببناء مدفنه وظل يذهب يوميا لترتيل ما تيسر من القرآن فيه الى أن توفى.

وكان لصوته بصمة لا تتكرر، فهو يبدأ بالاستعاذة من الشيطان الرجيم ثم البسملة بصوت خفيض وكأنه يستأذن ليدخل الى أذن المستمع ثم الى قلبه ويرتفع صوته تدريجيا لجذب الانتباه ثم يتلو بطريقة سلسة تسمح للمتلقى بالخشوع والتدبر.

وقال عنه الشيخ محمد متولى الشعراوي: إن أردنا أحكام التلاوة فالحصري، وإن أردنا حلاوة الصوت فعبدالباسط عبد الصمد، وإن أردنا النفس الطويل مع العذوبة فمصطفى اسماعيل، وإن أردنا هؤلاء جميعا فهو محمد رفعت.

بينما قال عنه الشيخ محمد الصيفي: رفعت لم يكن كبقية الأصوات تجري عليه أحكام الناس.. لقد كان هبة من السماء.

ووصف صوته موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب بأنه ملائكي يأتى من السماء لأول مرة. بينما رأى الكاتب محمود السعدنى أن سبب تفرد الشيخ محمد رفعت أنه كان ممتلئا تصديقا وإيمانا بما يقرأ.

ومؤخرا خصص الإعلامي محمد سعيد محفوظ فقرة في برنامجه لكشف كواليس إعادة ترميم تسجيلات الشيخ، وأوضح أن المستوى التقني للتسجيلات كان مدمرا، لأن عمرها يقارب 90 عاما وقد تم الاتفاق بين أحفاد «رفعت» ومدينة الانتاج لترميم تراثه وتسجيلاته وإعادة إذاعتها.

رحم الله شيخنا الجليل الذي رحل منذ 74 عاما إلا أن صوته في الأذان يحيي ليالي رمضان، وتلاوته تحتضن الروح وتملأ المكان، بينما شيوخ العصر الحديث يعتلون منابر الفضائيات ويبذلون قصارى جهودهم للظهوروالشهرة فهل سيبقى لهم أثر بعد عقود من الآن؟

hebaabdelaziz@ahram.org.eg

سميح القاسم فى ذكرى مولده الـ 85

مقاتل شرس برصاص القصيدة!

جيهان فوزى

التقيت الشاعر الفلسطينى الراحل «سميح القاسم» فى مناسبات عدة، وأجريت معه العديد من الحوارات الصحفية فى القاهرة والناصرة، وتحولت العلاقة المهنية إلى صداقة وطيدة، امتدت لسنوات، أهدانى العديد من كتبه، لكن أكثرها قربا إلى نفسى كتاب «الرسائل»، الذى يضم مقطوعات أدبية نثرية رائعة متبادلة، بينه وبين توأمه الروحى وشق البرتقالة الآخر «محمود درويش»- كما وصفهما الكاتب الراحل «أميل حبيبي»- تلخص الجرح الفلسطينى الغائر وترسم الأحلام والأحزان معا، .

كان القاسم أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي عام 48. ولد لعائلة فلسطينية فى 11 مايو عام 1939 فى مدينة الزرقاء الأردنية، وتعلم فى مدارس الرامة والناصرة، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسى فى الحزب الشيوعى قبل أن يترك الحزب ويتفرغ لعمله الأدبي، وما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت شهرة واسعة. وسُجن القاسم أكثر من مرة، كما وُضع رهن الإقامة الجبريةِ والاعتقال المنزلى وطُردَ من عمله مرّات عِدّة بَسبب نشاطه الشّعرى والسياسى وواجَهَ أكثر من تهديد بالقتل فى الوطن وخارجه.

فى ذكرى ميلاده يدب الحنين لأشخاص تركوا ذاكرة وذكريات وأعمال تتحدث عنهم..

حسن خضر

وهنا تغوص الشاعرة الفلسطينية «حنان عواد» فى بحور أشعاره لترسم لنا لوحة جدارية تجب سنوات الكفاح الأدبى والسياسي، التى تلخص تجربة الشاعر المبدع سميح القاسم، تقول عواد: يتوقف المجد المعتق على أبواب القمم، يستنهض القلم، ليدق الأبواب الحمراء فى الضباب وفى العراء، فى رحلة الذات فى تفاصيل البوح فى المساء ، وما بين الشاعر والوطن فى نصوص الاجتهاد فى محاكمات سردية مفاومة فى نص معجز.

«يا عدو الشمس لكن لن أساوم
وإلى آخر نبض فى عروقى سأقاوم
سأقاوم».

وتضيف عواد :. حينما تقرأ إبداعات شاعر من خلال كلماته، تحلق بعيدا فى ما هوية الإبداع فى النص التكاملي، وتطوف الذاكرة فى أبعاد تصورية، وحينما تقرأ كلمات مبدع صديق مقرب، تأخذ الكلمات منحى الوجدان وتطوف فى روح «المبدع الصديق» فى أفق استثنائى خاص، فى لقاءات الإبداع فى المهرجانات الكبري، وفى الحضور الشخصى الخاص، لتدرك أنك مع انسان غير عادى و شخصية مرسومة بألق الروح وأرق الواقع، وجاهزية القلم لإبداع النص المقاوم بقوة الموقف وبراعة التصوير. وتضيف: عرفت الصديق سميح القاسم بمواقع ومواقف بدلالاتها الخاصة، عرفته من خلال تبادلية الرسائل مع الشاعر المعجز محمود درويش، فى تقنية خاصة، محملة بقطيرات ندى الجمال بنص مقاتل، وحينما كنت أقرؤها، كنت أرسل لهما كلمات تقديرية خاصة برسالة مختصرة، وحينما سألنى درويش: «لماذا تكتبين باختصار وأحيانا تطلقين النص قولا»، أجبته: «لم أرد كسر نهر بوح الروح بينكما».

عرفته فى لقاءات عديدة مشتركة مع الرئيس الشهيد ياسر عرفات. وعرفته فى مهرجانات الشعر المحلى والدولي، كان دائما ضيف الشرف فى مهرجاناتنا الدولية فى القدس، وكان سيد الكلمة والموقف فى مهرجانات الشعر فى الناصرة والتى كانت تعقدها «مجلة المواكب». وعرفته صديقا مميزا، مشجعا لإبداعاتى حين قدم كتابى «الفارس يزف إلى الوطن» بكلمات رائعة. وعرفته صديقا لى وللعائلة، فى حضوره إلينا إشراقات إنسانية خاصة فى لغة الإنسان. وعرفته من نصوص دواوينه، ومن الدراسات المعمقة التى تناولت أعماله، وعرفته بلغة الأخوة والقرابة من خلال النصوص والسرديات التى كتب عنها ابن عمه الصديق الناقد المميز «نبيه القاسم».

القدس بريشة القاسم

وتواصل عواد سرديتها عن القاسم :تتصدر القدس شرايين العلاقة الزمانية والمكانية، لتسرد فعل الشموخ الأسطوري، وهى تتشكل فى صورة إبداعية، ورؤية فنية سياسية، منسوجة بالحنين الأخاذ وموجات الغضب ،ترتقى القدس فى نصوص خاصة عند القاسم، فى تفجير الموقف باستحضارها ضمن قصائد نوعية،تحمل ألم الرؤية، كما نرى فى كتاب «القدس»، وقصائد عديدة حملت اسم القدس وازدانت بها، وأطلقت عنانها فى مجمل أعمال المقاومة. وتستطرد عواد قائلة: لقد نقش القاسم فى قصائده، إشارات ورموز حضارية، تتلفح بها القدس فى أبعادها الدينية للديانات الثلاث، وتظهر بعض الرموز منها فى حلتها الربيعية الدائمة، كما رأينا فى ذكر الإسراء والمعراج عنده، وباقى الرموز الدينية. وتختم الشاعرة عواد قائلة: هو المبدع الكبير سميح القاسم، فى نص الضمير الحر، والتمرد على الظلم بروح الكبرياء الوطنى المقاوم. نعتز به وبكل ما كتبه، بعبقريته الخاصة فى إدارة الكلمة والصمود المعجز فى البعد الهرمى والتدرجى فى المراحل الكفاحية. ستشرق نصوص سميح ونصوص المقاومة الراقية عند كل مفصل كفاحي، وكل حدث سياسي، ليظل الأدب المقاوم صورة الثورة والمبشر بالنصر.

علاقة القاسم بمحمود درويش علاقة أخوة وصداقة طويلة ضاربة فى جذور الأرض، تحمل فى طياتها شطرى البرتقالة الفلسطينية، ووهج النضال، ووحدة المصير، ويشهد عليها الكاتب والناقد الفلسطينى «حسن خضر» فرسم لنا مشهد الرحيل المؤلم لدرويش والقاسم فى وداعه غير مصدق: نجم اقتران اسم محمود درويش بسميح القاسم،والعكس صحيح، فى التاريخ الثقافى والسياسى للفلسطينيين، وفى الثقافة العربية، عن أسباب وثيقة الصلة بالجغرافيا والسياسة، والتاريخ. فقد نشأ كلاهما فى الجليل، الذى وقع ضمن حدود الدولة الإسرائيلية، بعد قيامها عام 1948 وأضفى وجودهما معا كشاهدين على تاريخ مضاد، وانخراطهما معا فى الكفاح الوطني، وعثورهما معاً فى الشعر، على وسيلة للمقاومة،على صداقة نشأت بينهما فى سن مبكرة، وامتدت حتى اليوم الأخير لكليهما على الأرض، دلالات فريدة وجودية ونادرة. وبهذا المعنى كان كلاهما مكونا عضويا فى هوية صاحبه، فعلى الرغم مما فرض تبدل الأماكن، والأزمنة من تجارب شخصية متباينة، إضافة إلى ذائقة شعرية، وخيارات جمالية، مختلفة، إلا أن أحدهما لم يكن قادرا على تخيل وجوده بالمعنى الشخصى والشعرى فى آن، إلا كشطر البرتقالة يمثل صاحبه شطرها الثاني، كما جاء فى كتاب رسائل متبادلة بين الصديقين ،فى أوائل ثمانينيات القرن الماضي.

ويضيف : من حسن الحظ أننى عن كثب على خصوصية وحساسية التفاعل بين محمود درويش وسميح القاسم، على مدار قرابة عقدين من الزمن، فى مناسبات خاصة وعامة، وقد كان القاسم المشترك فى تلك المناسبات إحساسا بالألفة لا نحتاج إلى جهد خاص لاكتشاف وجوده، كلما وجدنا أنفسنا بين أفراد العائلة الواحدة.

من المفارقات المؤلمة حقا أننى شهدت اللحظة التى ودع فيها سميح القاسم صاحبه، يوم جنازة درويش فى رام الله فى صيف عام 2008 وضعوا يومها النعش الذى وقف وراءه الرئيس محمود عباس، وأعضاء الحكومة على منصة متوسطة الارتفاع، فى قاعة غصت بالحاضرين بالمقاطعة، المقر الرسمى للسلطة الفلسطينية برام الله، وجلست والدة محمود على كرسى متحرك بجوار النعش، وعندما دخل سميح راكضا، دامع العينين، توقف أمام النعش، حدق كمن لا يصدق ما يري، وصرخ بصوت بدا وكأنه يخلع القلب: «انهض أيها المتماوت». وكرر فِعل الأمر «أنهضِ بما لم يعد كلاما، بل صار نحيبا يقطع نياط القلب، ثم بمزيج من الأمر، والأسي، والاستعطاف، ونبرة خافتة، سرعان ما تعالت، نادى صاحبه: أنهض أنا أخوك سميح».

ويتابع خضر قائلاً: «يروى أن والد القاسم كان ضابطا فى قوّة حدود شرق الأردن، وفى إحدى رحلات العودة إلى فلسطين فى القطار خلال الحرب العالمية الثانية ونظام التعتيم، بكى الطفل سميح فذعر الركاب وخافوا أن تهتدى إليهم الطائرات الألمانية. وبلغ بهم الذعر درجة التهديد بقتل الطفل إلى أن اضطر الوالد إلى إشهار سلاحه فى وجوههم لردعهم. وحين رُويَت الحكاية لسميح القاسم فيما بعد قال: «حسنا... لقد حاولوا إخراسى منذ الطفولة سأريهم سأتكلم متى أشاء وفى أيّ وقت وبأعلى صَوت، لن يقوى أحد على إسكاتي».

شفيق التلولى: عبر عن الذات والوجود بالقصيدة فصار أيقونة انتفاضة الحجارة

شفيق التلولى

د.حنان عواد

د. حنان عواد: شخصية مرسومة بألق الروح وجاهزية القلم لإبداع النص المقاوم

ويقول الكاتب والروائى الفلسطينى «شفيق التلولي» عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين عن مسيرة القاسم الشعرية والسياسية: سميح القاسم اسم من أسماء الشعر السامقة فى فلسطين، حمل الهوية وسار بها فى دروب النضال، عبر عن الذات والوجود بالقصيدة التى حلقت عاليا فى فضاء الأدب، صار أيقونة انتفاضة الحجارة إذ شكل لدى جيلها علامة فارقة حينما اندغم بروح هذا الجيل الثائر المتمرد على الاحتلال الذى أثر فيه عبر محطة انتفاضة الحجارة، التى تعد من أهم المحطات النضالية الفلسطينية وكتبت فصلا مشرقا من فصول الفعل الوطني، ويستدرك قائلا: تعمدت قصائد سميح بماء السماء وانجبلت بملح الأرض، ارتقى بشعره وقاوم فعلا وقولا عبر الكلمة الواعية والمسئولة، شعرا ونثرا، سردا ومقالا، التقط سميح القاسم فكرة الوطن الوهاجة وانصبغ بحبرها، معبرا عنها بشعره الذى تميز بالجزالة والرصانة والرشاقة والانسيابية فجمع بين التقليد والحداثة، حافظ على عمودية القصيدة ومعماريتها فى كثير من قصائده، كما أنه لم يغفل التجديد فى شكل القصيدة التى استوعبت المضامين الثورية المنطلقة من مفهوم الهوية الوطنية. ويضيف التلولي، على الرغم من وجوده داخل فلسطين المحتلة إلا أنه حافظ على هويته وصانها من الاندثار أو الطمس والذوبان، بل تعدى ذلك إلى الفعل النضالى حينما رفض التجنيد الإجبارى للطائفة الدرزية التى ينتمى إليها ، وواجه الاحتلال الذى حاول استلاب الذات والكينونة. كما أن تجربة السجن التى خاضها مرارا أثرت فيه وصقلت شخصيته الأدبية، وزادته إصرارا على مواصلة مسيرته الوطنية والأدبية، متجاوزا جدران السجن ومتحديا إرادة السجان، ومجابهة كل ما من شأنه أن يسلخه عن ذاته الوطنية، ويختم التلولى بالقول : لا أحد يمكن أن يقفز عن اسم سميح القاسم وهو بصدد التأريخ للأدب الفلسطينى المقاوم، لما أسهم به فى من إبداع تجاوز الثمانين عملا بين الشعر والرواية والمسرح والمقالة، وهى أعمال أثرت المكتبة الوطنية والعربية، وجابت العالم عبر ترجمة نصوصه إلى لغات عدة.

حسن خضر: القاسم ودرويش كلاهما ينادى صاحبه بالنبرة نفسها

صناعة أغنيات قصيرة العمر

متاهة الغناء على من نطلق السؤال؟!

أحمد السماحى

تعيش الأغنية الراهنة أزمة كبيرة، ليس السبب فيها القائمون عليها بقدر ما يشترك فى أزمتها وسائل الإعلام المختلفة!، التى لا تهتم بالأغنية، ولا تناقش صناعها فيما يقدمونه، فتشيد بالجيد وتنتقد السيئ مثلا ، فالمتابع لما يقدمه كثير من صناع الأغنية يجد فيها نماذج (ركيكة) للغاية، سواء من حيث الكلمة المستهلكة، أو الألحان المقتبسة من الخارج، وأحيانا من الداخل، والتى تحاول جاهدة بكل انفلاتاتها سحب البساط من تحت أرجل قيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا، حتى يصل الكثير منا إلى ترديد أغان فارغة بلا شكل ولا مضمون ولا طعم ولا رائحة.

وفى الوقت نفسه نجد أغنيات أخرى على مستوى كبير من الرقي، والجمال والعذوبة، يقدمها مجموعة من المطربين والشعراء والملحنين والموزعين أصحاب الضمير الحي.

وعموما ما يحدث الآن فى الأغنية المصرية، كان حالها منذ بدايتها، فمنذ بداية الأغنية كانت كأميرة من «أميرات الحواديت» الشعبية، الأسطورية، لكن هذه الأميرة وقعت فى الأسر، على مدى مشوارها، وأصبحت لا تملك من أمرها شيئا، فهى كانت مستكينة مسترخية، يحلم لها المستقبل بفجر الانطلاق والتحرر من الأسر، وهى لا تحلم، لا تحاول أن تعبر جسر الاسترخاء.

كانت الأغنية على مدى مشوارها أميرة ممددة على سرير الواقع الاجتماعي، متميعة، تصاحب فوضى عدم الانتماء، فهى ليست مع الشعب فى كفاحه اليومي، ولا هى فى معظم حالاتها تعبر عن حال الواقع، لكنها وعبر مجموعة من أساطين الكلمة واللحن نهضت من رقدتها وتحررت بداية على يد الموسيقار سيد درويش.

وخلعت ثوب الهوان والضياع وتحولت إلى مدفع موجه إلى القوى المتحالفة ضد مصالح الوطن، ولكنها سرعان ما عادت إلى عدم الانتماء، تلهو فى ليالى وشوارع القاهرة دون ضابط أو رادع!.

حتى وصلت إلى ما وصلت إليه حاليا، والسؤال الذى نطرحه لماذا عاشت معظم الأغنيات القديمة فى وجدان الجمهور، ولم يحقق معظم ما يقدم الآن هذا الخلود الفني؟!، وسؤال آخر ولد من رحم السؤال الأول هل الجيل الحالى من صناع الأغنية مظلوم ومجنى عليه أم جان؟!، السؤالان توجهنا بهما إلى بعض كبار نجوم الأغنية، فكانت هذه ردودهم.

فى البداية أكد الملحن الكبير صلاح الشرنوبى أن الجيل الحالى من صناع الأغنية مظلوم جدا، لأنه لا أحد يسانده أو يدعمه، أو يناقشه فيما يقدمه، عكس الأجيال السابقة التى حققت نجاحا كبيرا من خلال منصات الإذاعة والتليفزيون، والإذاعة كانت أهم، لأننا كنا نستمع إلى الأغنيات بانتظام واستمرار، وبالتالى تسللت الأغنيات إلى وجداننا ومن خلالها تعرفنا على صناعها من مؤلفين وملحنين وموزعين ومطربين.

لكن الوضع اختلف حاليا ولا يمكن محاكمة هذا الجيل لأن الوسائل اختلفت، فقد ظهرت وسائل التواصل الاجتماعى الحديثة التى لجأ إليها المطربون الشباب بديلا عن الإذاعة والتليفزيون، وحققوا من خلالها نجاحا كبيرا.

وأضاف الشرنوبي: لا يجب محاكمة الجيل الحالى بثقافتنا ولا معتقداتنا ولا تراثنا الغنائى الذى نعرفه ونحفظه لكبار نجوم الأغنية، لأن هذا الجيل لو أحد منهم تطرق إلى مفردات الماضي، وقوالب ألحان زمان، ربما اتهمه جيله من الشباب الحالى المتابع لوسائل التواصل الاجتماعى بالتخلف، واعترض على ما يقدمه كثير منهم.

وفى النهاية الجيل الحالى من العاملين فى صناعة الأغنية يوجد لديهم كثير من الأغنيات الحلوة من حيث الكلمة واللحن والتوزيع، وأكيد ستسكن هذه الأغنيات أو على الأقل الكثير منها ذاكرة الجيل الحالى التى يستمع إليها، لكن من وجهة نظرى الخاصة وبصراحة هذه الأغنيات الجميلة قلة بالنسبة للكم الكبير الذى يقدم على (مواقع التواصل الاجتماعي) والذى يغلب عليه استخفاف بأهمية الأغنية بصفة عامة، وبجلال الكلمة، وجلال قيمة الحب.

الشاعر المبدع بهاء الدين محمد له وجهة نظر خاصة جدا، حيث أكد أن الجيل الحالى من صناع الأغنية موجود بقوة من خلال الشباب الحالى الذى يستمع ويرتاد الحفلات، وبالتالى لا يجب أن نصادر على حقه فى الاستماع والإعجاب بجيله من المطربين.

وأضاف أن كثيرا من الأغنيات الحالية ستبقى وتعيش فى وجدان الجيل الحالى الذى يستمع إليها من خلال منصات التواصل الاجتماعي.

والجيل الماضى من المطربين الذى يتشدق كثير من الآباء والأمهات بأسمائهم، لا أحد يعرفهم من الشباب الحالي، إلا باستثناء أم كلثوم، وشادية، وعبدالحليم حافظ، والأخيران وصلا للأجيال الجديدة من خلال أفلامهما السينمائية التى تعرض على شاشات الفضائيات، لكن الجيل الحالى من الشباب لا يعرف نجاح سلام، ولا شهرزاد، ولا فايزة أحمد، ولا محمد عبدالمطلب، ولا غيرهم من المطربين.

ولولا وجود الآباء والأمهات فى البيوت المصرية الذين يذكرون أسماء المطربين القدامى ما عرف ولا سمعت الأجيال الحالية بهؤلاء العمالقة.

وفى نهاية كلمته قال بهاء الدين محمد : الواقع الآن بيقول إن الجيل الحالى يعرف (لما النسيم بيعدى بين شعرك حبيبتى بسمعه، بيقول آهات، وأكتبلك تعهد، وهى عاملة ايه دلوقتي، قالى الوداع، وهأقوله ايه) وغيرها.

بعد بهاء الدين محمد توجهنا إلى أحد رموز الأغنية المعاصرة جدا وهو الشاعر والملحن والمطرب عزيز الشافعى الذى لا يخلو موسم غنائى من عشرين أغنية له (ترندات) وسألناه عن سر بقاء الأغنية الماضية، فى الوقت الذى لا تعيش الأغنية الراهنة فقال ساخرا: بعد خمسين سنة تعالوا اسألونى هذا السؤال؟!

وأضاف الشافعى : لا يصح الحكم على أغنية بعد شهر أو شهرين من طرحها، يجب أن تأخذ الأغنية حقها من الاستماع حتى تصل للجمهور، وبعد هذا تعالوا حسبونى أو حاكموني! ويوضح الشافعى : لدى أغنيات ناجحة رغم تقديمها منذ عشرين عاما مثل (بلاش الملامة، وعشنا قد ايه) لخالد سليم، وأغنية (حبيبه سابه) لإيهاب توفيق، وغيرها. وأنهى عزيز الشافعى كلامه قائلا: كثير من الذى يقدم حاليا سيعيش، وسيبقى خالدا، مع الزمن، مثلما بقيت فى الذاكرة أغانى أم كلثوم، ومحمد عبدالوهاب، وعبدالحليم حافظ، وفريد الأطرش، واسمهان، وسواهم من المطربين الكبار فالبحر يرمى النفايات، ويحتفظ بكل ما هو جميل وأصيل.

الموسيقار سمير حبيب صاحب الروائع التى لا تنسى لكبار نجوم الغناء والتمثيل منهم المطربة العالمية داليدا أكد أن لكل زمان جماله، ولكل زمن نجومه، والحياة الفنية لم تعد كما كانت، كما حدث فى كل مجالات الحياة، فالأكل الآن لم يعد مثل الماضي، ولا ستات الحاضر يشبهن سيدات زمان.

وبالتالى لست مع أن الأغنية فى الماضى كانت أجمل، الأغنية فى الماضى كان عددها أقل وتتردد فى اليوم الواحد عشرات المرات، اليوم أصبح عدد الأغنيات كثيرا جدا، وعدد مرات إذاعتها وعرضها قليل وأحيانا نادر، وبالتالى لا يصل كثير منها للجمهور، ولا يصح محاكمة الأغنية الراهنة إلا إذا استمعنا إليها جيدا، ونحن لا نسمع مما ينتج إلا لنجوم الأغنية. كما أن الحالة الاقتصادية أثرت على نوع الفن الذى يقدم، فلم تعد توجد شركات كاسيت لإنتاج الأغنية، ومعظم ما يقدم من إنتاج المطربين أنفسهم، وبالتالى فهم ينتجون ما يرونه مناسبا لهم دون أن يكون لديهم خطة معينة

صلاح الشرنوبى: لا يجب محاكمة الجيل الحالى بثقافتنا و معتقداتنا و تراثنا الغنائى

صلاح الشرنوبى

بهاء الدين محمد : الشباب لا يعرفون مطربى الأجيال الماضية !

بهاء الدين محمد

سمير حبيب

سمير حبيب: كل زمان وله جماله.. والاقتصاد أثر على نوع الفن الذى يقدم حاليا!

عزيز الشافعى

عزيز الشافعى : الأغنية الراهنة بخير ولا يصح الحكم عليها بعد شهر أو شهرين

ينظر نجوم وصناع السينما إلى فترة الصيف نظرة خاصة جدا ..فهى كفيلة بالحكم على استمرار توهج أو أفول هذا النجم أو ذاك، عبر إيرادات شباك التذاكر، حيث تزخر السينما المصرية عبر تاريخها العريق بعدد كبير من الأعمال السينمائية المرحة والرومانسية التى تنسج أحداثها خلال فترة الصيف تحتشد بأسماء ألمع نجوم ومخرجى وصناع السينما.

.. ويعد الموسم السينمائى الصيفى أهم المواسم السينمائية ،حيث تستعد له شركات الإنتاج السينمائى استعدادا كبيرا، نظرا لما يشهده من تدفق الجماهير العريضة من رواد السينما على قاعات العرض وخاصة الشباب منهم ..فتقدم كل عام عددا من الافلام التى تغمر أجواءها القصص الرومانسية ..كما تمتزج مشاهدها بأجواء الشواطئ المختلفة، لتقدم هذه الاعمال توليفة سينمائية تناسب هذا الموسم المهم لصناع هذه الاعمال السينمائية.

عبدالحليم حافظ فى «أبى فوق الشجرة»

سينما الصيف

موسم النجومية والمرح

ماجد كامل

ولاتتسع السطور هنا لحصر أسماء كبار نجوم السينما الذين قدموا عشرات الافلام التى دارت أجواؤها الشبابية على خلفية ارتباط الصيف بالمرح والحب وأجواء الرومانسية ..ومن ألمع هؤلاء النجوم عندليب مصر الاسمر عبد الحليم حافظ وسعاد حسنى ونور الشريف واحمد رمزى وحسن يوسف وميرفت أمين ونجلاء فتحى إضافة الى كتيبة من أكبر الكوميديانات كفؤاد المهندس ومحمد عوض وأمين الهنيدى ومحمد رضا ونجوم فرقة ثلاثى أضواء المسرح سمير غانم وجورج سيدهم والضيف احمد.. وعشرات وعشرات من النجوم غيرهم، حيث دارت أحداث معظم اعمالهم السينمائية فى المناطق الشاطئية كالإسكندرية ورأس البر ومرسى مطروح والإسماعيلية وبورسعيد.. وأضيفت إليها مع دخول فترة التسعينيات من القرن الماضى مدن شرم الشيخ والغردقة ومرسى علم .

شاطئ الغرام

ويعد الفيلم الرائع «شاطئ الغرام»، الذى كتبه وأخرجه المخرج الكبير هنرى بركات عام 1950 ولعبت بطولته قيثارة الغناء العربى ليلى مراد والفنان حسين صدقى من بواكير الأعمال السينمائية التى نسجت أحداثها الدرامية على سردية قصة حب شديدة الرومانسية بين الشاب الثرى عادل والمدرسة الحسناء ليلى حيث اندلعت شرارة الحب بينهما على أحد شواطى مرسى مطروح.. وقد كان النجاح المدوى للفيلم سببا مباشرا فى الترويج السياحى لشواطئ مرسى مطروح خاصة بسبب الاغنيات الخالدة التى غنتها ليلى مراد فى الفيلم أبرزها «الميا والهوا» للشاعر المبدع صالح جودت ولحنها الملحن الكبير احمد صدقي.

العندليب الأسمر

ورغم رحيله عن عالمنا منذ أكثر من 47 عاما تظل إطلالات عندليب مصر الأسمر عبدالحليم حافظ على الشاشة الفضية والتى تضمنت عددا من أغنياته الساحرة تسكن وجدان عشرات الملايين من عشاقه عبر الاجيال .. حيث يتربع فيلمه الأيقونى «أبى فوق الشجرة» على عرش الافلام الاستعراضية الغنائية التى تدور فى زخم الأجواء الشبابية الرومانسية .. فالفيلم المأخوذ عن رواية الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس والذى أخرجه عبقرى الإخراج السينمائى حسين كمال عام 1969 تدور أحداثه حول الطالب عادل ولعب دوره الفنان عبد الحليم حافظ والذى يتشاجر مع حبيبته آمال التى لعبت دورها الفنانة ميرفت أمين- فى اول ظهور سينمائى لها - ليسافر إلى الإسكندرية لقضاء الإجازة الصيفية، وهناك يتعرف على الراقصة فردوس التى لعبت دورها الفنانة نادية لطفى فى أحد أجرأ أدوارها على الشاشة الفضية ويقع فى شباكها.. وبعد انقطاع أخباره يذهب والدهِ ويجسده الفنان الكبير عماد حمدى إلى الإسكندرية بحثا عن ابنه

وقد احتوى الفيلم على عدد من الأغانى الخالدة التى احدثت دويا كبيرا ومن أبرزها أغنية «دقوا الشماسي» التى باتت رمزا لكل رحلات المصايف، وأغانيه الساحرة «جانا الهوي» التى كتبها الشاعر محمد حمزة ولحنها الموسيقار العبقرى بليغ حمدي.. و«الهوى هوايا» لشاعر مصر العظيم عبدالرحمن الابنودى وألحان بليغ حمدى

نجاة فى فيلم «شاطىء المرح»

سعاد حسنى وثلاثى اضواء المسرح فى «شباب مجنون جدا»

ليلى مراد وحسين صدقى فى «شاطىء الغرام»

.. و«ياخلى القلب» لموسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب والتى كتبها الشاعر المبدع مرسى جميل عزيز ..إضافة الى الاستعراض الرائع «قاضى البلاج» للشاعر مرسى جميل عزيز والحان الموسيقار منير مراد.

وحتى اللحظة يظل فيلم «أبى فوق الشجرة» من أكثر الأفلام السينمائية تحطيما للإيرادات، حيث ظلت دور السينما تعيد عرضه عشرات الأعوام بعد عرضه الأول .

وقبل ذلك بتسعة اعوام قدم عندليب مصر فيلمه الشبابى الغنائى «البنات والصيف» الذى أنتج عام 1960 وأخرجه 3 مخرجين هم: صلاح ابو سيف وعز الدين ذو الفقار وفطين عبد الوهاب عن قصة الاديب احسان عبد القدوس وشاركته البطولة النجمات سعاد حسنى ومريم فخر الدين وزيزى البدراوي.

ويحكى ثلاث قصص منفصلة من عوالم مختلفة تدور فى أجواء الصيف بتقلباته وعلاقاته العاطفية العابرة، وحكاية ثلاث بنات يصطدمن بثلاث أزمات تضعهن فى مهب الريح، ما بين الإخلاص والخيانة، وبين الحيرة واليقين، وبين الاستسلام للواقع والخلاص من الهاوية

نسائم المرح والانطلاق

وتدور أجواء أفلام الصيف وسط نسائم من المرح والانطلاق الذى يغمر أجواءها ..حيث تحفل حقبة الستينيات من القرن الماضى بأفلام رائعة تدور فى هذه الاجواء، ومن أبرزها سلسلة الأفلام التى لعب بطولتها النجوم الذين كانوا يعبرون عن جيل الشباب فى هذا الزمن كسعاد حسنى وحسن يوسف واحمد رمزى إضافة الى هذا الثلاثى الساحر الذى قلب موازين عالمى الكوميديا والاستعراض وهم ثلاثى أضواء المسرح سمير غانم وجورج سيدهم والضيف احمد حيث قدم هؤلاء النجوم عددا من الافلام المرحة التى لاتزال ضيفا محببا على شاشات الأسر المصرية والعربية حتى الآن ..كأفلام شاطئ المرح والزواج على الطريقة الحديثة والحياة حلوة وشباب مجنون جدا .. وكلها أفلام تدور أجواءها فى المناطق الشاطئية .

ففى فيلم «شباب مجنون جدا» الذى لعبت بطولته سندريلا الشاشةسعاد حسنى مع الفنانين احمد رمزى وأمين الهنيدى وثلاثى أضواء المسرح وأخرجه المخرج الكبير نيازى مصطفى عام 1967 وتدور أحداثه على شاطئ المعمورة بالإسكندرية

تتنكر مديحة (سعاد حسني) الطالبة بمعهد التمثيل فى زى شاب لتعمل فى الفرقة الموسيقية التى كونها أخوتها الثلاثة والذين يجسد أدوارهم ثلاثى أضواء المسرح (سمير، والضيف، وجورج). وذلك بعد تمرد احد اعضاء الفرقة ويلعب دوره الفنان سمير صبرى ورفضه العمل وتتعقد الأمور عندما تقع الفتاة مديحة فى حب شاب يجسده الفنان احمد رمزي.. ويحفل الفيلم بالعديد من الاستعراضات الغنائية الرائعة التى يقدمها ثلاثى أضواء المسرح .

كما شارك الفنان حسن يوسف وثلاثى أضواء المسرح صوت مصر الدافئ الفنانة نجاة الصغيرة بطولة الفيلم الشبابى الغنائى «شاطئ المرح» الذى أخرجه المخرج الرائع حسام الدين مصطفى عام 1967 وشدت فيه نجاة الصغيرة بعدد من الاغنيات الخالدة من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب ومنها اغنيايها «القريب منك بعيد» «وعلى اليادي» وتدور أحداث الفيلم حول الفتاة نورا التى تجسد شخصيتها الفنانة نجاة والتى تذهب فى رحلة مع أصدقائها إلى الإسماعيلية فى إجازة نهاية العام ويقوم والدها الذى يلعب دوره عملاق الكوميديا عبد المنعم مدبولى بتكليف الشاب حسام ابن أعز أصدقائه ويلعب دوره الفنان حسن يوسف، بمراقبة «نورا» أثناء الرحلة، لكن حسام سرعان ما يقع فى غرام الفتاة، وتبادله الحب، لكنها تصدم عندما تعرف بالمهمة الموكولة إليه.

ويعد فيلم «الزواج على الطريقة الحديثة» - والذى اخرجه صلاح كريم عام 1968 ولعبت بطولته أيضا سعاد حسنى والفنان حسن يوسف إضافة الى ثلاثى أضواء المسرح - من أبرز الأفلام الشبابية التى تناولت الصيف والاجواء الرومانسية.

وقد تضمنت مشاهد الفيلم الاستعراض الرائع «خدنا أجازة «الذى يسكن وجداننا حتى الآن وتغنيه سعاد حسنى بمشاركة ثلاثى أضواء المسرح والفنان حسن يوسف.

بينما قدم نجما الكوميديا الكبيران فؤاد المهندس ومحمد عوض فى عام 1966 فيلمهما المرح «أجازة بالعافية» وشاركاهما بطولته النجمتان شويكار ونوال ابوالفتوح وأخرجه نجدى حافظ وتدور أحداثه الضاحكة فى شاطئ المنتزه بالاسكندرية عبر قصة حب تنشأ بين صديقين يفوزان برحلة شاطئية صيفية تتضمن إقامة بأحد الفنادق الفاخرة كجائزة لمسابقه تنظمها احدى الصحف حيث يلتقيان بفتاتين تقيمان بنفس الفندق وتنشا بينهم قصتا حب .. تتخللهما العديد من المشاهد الضاحكه التى تنتمى لما يعرف بمدرسة» كوميديا الموقف» .

معالجات ركيكة

.. وعلى النقيض تماما مما قدمته معظم الافلام الشبابية المرحة فى فترة الستينيات من معالجة درامية ممتعة وآخاذة تواكب انطلاق الشباب ومرحهم والاجواء الرومانسية التى تدور على خلفيتها أحداث هذه الافلام التى ذكرنا نماذج لها منذ قليل ..جاءت فترة السبعينيات لتقدم خلالها السينما معالجات رديئة لنفس هذه الاجواء مع التركيز على الإثارة الحسية والاغراق فى المشاهد الساخنة كما فى أفلام «فى الصيف لازم نحب» و«البنات والمرسيدس» لتفقد هذه الافلام جوهرها الحقيقى الذى يقتضى تقديم معالجات تناسب أجيال الشباب وانطلاقه ومرحه لاتضيع هذه المفاهيم الدرامية وسط طوفان لمشاهد الإثارة غير المبررة دراميا ..كما امتدت المعالجات الدرامية الضعيفة لأفلام الصيف الى التسعينيات ومابعدها فى محاولة لاستغلال إقبال الشباب على دور السينما فى فترة الصيف عبر تقديم سرديات ضعيفة مطعمة بمشاهد كوميدية ثقيلة الظل ومفتعلة تقوم على «أفيهات» وتضفير ذلك بقصص حب شبابية تدور أحداثها على الشواطئ المختلفة.

صفو الكلام

التمجيد الزائف ..تجليات وحكايات «8»

عبد الحليم غزالى

أختم بهذا المقال سلسلة «التمجيد الزائف.. تجليات وحكايات»، وبداية فقد نبهني الصديق والزميل العزيز الأستاذ محمود الحضري تعليقا على المقال السابق، إلى مظهر آخر من مظاهر التمجيد الزائف، وهو منح الجامعات الدكتوراه الفخرية لشخصيات معروفة في المجتمع، وهو تقليد استوردناه من الغرب كما استوردنا الجامعات نفسها، وقد رأينا في الآونة الأخيرة جامعات عربية عريقة «تُفخّر» من هو ليس بفاخر، ولا في سجله ما يستحق أي فخر، كل ما في الأمر، أنه فنان أو رجل أعمال أو مسئول معروف، فزادت الدكتوراه الفخرية رخصا، كما هو الحال بالنسبة للدكتوراه الحقيقية، التي أصبح يحملها بعض الجهلاء والأغبياء، ومع كل الأسف منهم من يلتحق بالجامعات، ويلقي محاضرات ويؤلف ما يسمونه كتبا، وليس من قبيل المفاجآت أن هناك من بينهم من يصبحون عمداء كليات ورؤساء جامعات، وقد فتح الإكثار من الجامعات الخاصة في بعض بلداننا العربية الباب لهؤلاء ليعلموا وهم في أشد الحاجة إلى التعليم، ويفهّموا وهم الأجدر بالتفهيم!

وفي نظام جامعي لا يزال يقوم في أغلبه على التلقين في بلادنا العربية، تذهب التقديرات المرتفعة في الشهادات العليا الجامعية للقادرين على الحفظ الأعمى، وليس من يفهمون أو يريدون أن يفهموا، وهذا هو السر فيما يسمى ظاهرة استنزاف العقول، حيث يهرب المتفوقون الحقيقيون إلى الغرب بحثا عن ملاذ علمي آمن، بينما تزدهر «العاهات التعليمية» لدينا وتستشري ، وكما قال الشاعر :

إن العصا من العصية ولا تلد الحية إلا حية! وطبعا كلامي يخص بعضا فقط من كوادر التعليم الجامعي، وليس الكل، ففي جامعاتنا أساتذة عظام تعلمنا منهم، وما زالت أجيال تنعم بعلمهم وخلقهم، ومنهم من تحمل ظروفا قاسية، وشنت عليهم حروب مدمرة، لكنهم استعصموا بسفينة العلم والأخلاق، فبقوا في ذاكرة أوطانهم، بينما ذهب الجهلاء مع الريح، رغم التمجيد الزائف والادعاءات الكاذبة!

ومن العجيب أن بعض من يحصلون على شهادة الدكتوراه، يشعرون وكأن الواحد منهم ترقى في الدرجة البشرية، فأصبح لزاما على الكل مدحه وتبجيله، والترحيب به وإبداء الخشية منه ، وإسباغ الحيثية على كل حركاته وسكناته، وكأن هذه «الدال الملعونة» ترفع إلى عنان السماء، وتجعل من يحملها شمسا وقمرا ونجما، وعلى من حوله من أبناء الظلام، أن يحمدوا الله على وجوده الفذ بينهم، فلولاه ما عاشوا، ولا رضيت الأرض أن تحملهم فوق ظهورها، ولو كانت كثرة الدال رفعة، لسبقنا الأمم إلى المجد والتقدم!

أما حملة الدكتوراه الفخرية فقد أصبحوا أكثر من أسراب النمل في الكهوف، بعد أن أضحت جهات وهمية تدعي أنها مؤسسات تعليمية، تطبع منها المئات، وتمنحها لكل من تظنه مشهورا أو مفيدا، أو متنفذا، وفي مواقع التواصل، تطالعنا يوميا صور توزيع العطايا الوهمية هذه، على وجهاء وهميين ونجوم مجتمع مزيفين، وأخشى أن يأتي يوم يتم فيه توزيع الدكتوراه الفخرية مع ساندويتشات الكبدة، وربما الفول والطعمية!

إنها ذهنية وثقافة تسود المجتمعات العربية ، تقوم على عنصرين المجد والممجد به، الأول فاعل والثاني مفعول به، وهما قرينان،، ويصل الأمر إلى حد مباريات زيف وخداع.. انظر إلى التمجيد الزائف في مقدمات الزواج مثلا، فعندما يتعارف شاب وفتاة في إطار أسري ، تجد كل أسرة منهما تحشد كل أسلحة الفخر و«التكابر» ، بدءا من تواريخ العائلتين اللتين تنضوي تحتهما هاتان الأسرتان، فيظهر في الجذور «بشوات» و«بكاوات» و عمد ومشايخ وأشراف وأصحاب مناصب عليا وأثرياء تجري من تحتهم الأنهار، ويظن كل طرف أنه الأثقل وزنا بما ادعى وأشاع ، ويتبع ذلك ذكر بطولات وحكايات كرم وعطاء، وكما يقول مثلنا البلدي «الكلام ليس بفلوس»، وإذا شاء قدرك أن تحضر مباراة من هذا النوع فسيصيبك الذهول، من سجل الأمجاد، الذي يفضحه واقع سقيم وهراء مقيم!

وأختم بحكاية سمعتها من أبي رحمه الله وأنا طفل، أن اثنين من المشهورين ب «الفشر» التمجيدي المريع قال أحدهما للآخر إن أباه رحمه الله، كان طويلا جدا، لدرجة أنه عندما يقف تطول يداه النجوم!

فسأله صاحبه: هل كان يعثر بين النجوم على أي شيء فيه طراوة ؟ فرد الآخر: نعم ، فقال له صاحبه: يا عزيزي هذه كانت رجل أبي رحمه الله!

ghazaly@ahram.org.eg

الفنانة «ماجدة شعبان» تستعيد نبض الحياة فى لبنان

«وجوه وأماكن»

ذاكرة بيروت.. إبداعات مدهشة

نسرين مهران

تنتظر غدها المتروك لرمية نرد فى لعبة بلا قواعد.. «بيروت» مدينة ساحرة لمن يزورها أو يقرأ عنها، فما بالك بمن يسكنها، فتسكنه بكل تفاصيلها، بفرحها ووجعها، وتبعث فيه الرغبة فى توثيقها وإعادة تصويرها كما يحملها فى ذاكرته ومشاعره. هكذا تسكن العاصمة العذبة بطبيعتها الخاصة جميع لوحات الفنانة اللبنانية «ماجدة شعبان». لم يقتصر تعبير الفنانة عن عاطفتها وأفكارها فقط، بل طال الشعر أيضا ؛ إذ قالت: «بيروت، سأكتشف مرارًا وتكرارًا صورًا لأسقفك الطائرة، وسأرسم مصاريعك المسحورة ومطرقة طفولتى على رصيفك».

تعدو إلى النسيان، فيجمح بها حصان الذاكرة. خطوط انسيابية تصطحبك معها إلى «ست الدنيا»، فتأنس بها وكأنك تربيت فى حاراتها، وتنشّقت عطرها: مزيج من مواكب العطور، رائحة زهر الليمون والتبغ، خضرة الأرز الداكنة وملوحة البحر الشهية..

أعمال فنية رائعة مفعمة بالحيوية تتفجر منها ينابيع الألوان المعتقة بعفوية الكبار وبراءة الصغار.. تتنقل بك بين بيروت الماضى والحاضر، فى مدينة صامدة عبر العصور، تقاوم من أجل أن يظل الحب والحياة شعار أهلها وسط المخاطر التى تعصف بها.

من خلال رسوماتها، جسّدت ماجدة شعبان مشاهدة حياتية ليوميات المواطن اللبناني. بريشتها المبدعة، تجعل المتلقى يتعرف ببساطة على المفردات البصرية التى تؤكد هوية المدينة سابقا وحاضرا. من تلك المفردات نرى الطربوش الأحمر على رءوس بعض شخوصها وهم يلعبون الطاولة أو يدخنون التبغ، والنوافذ الخشبية الملونة، والتحف القديمة كجهاز الراديو الذى يعود إلى زمن ستينيات القرن الماضي. هناك أيضا الكتب والمكتبات لمدينة عربية ترعى الثقافة والعلوم منذ نشأتها الأولي، إلى جانب لافتات تدل على أمكنة معروفة وشوارع "منمنمة" كما هى معظم شوارع بيروت. وأكثر ما يلفت النظر هو تلك النظارات السميكة والمستديرة التى تضعها الكثير من شخوصها. هناك أيضًا تجاور بين المبانى التقليدية والمعاصرة فى فوضى عمرانية لافتة تنعكس بشكل واضح على ملامح شخوصها القلقة حينا والنزقة حينا آخر.

خزين ذاكرة تبوح بما يتفجر منها، وبما يكشف عن بوح نفسى مغمس بالالوان.. معه تملأ «ماجدة شعبان» تجاويف الذاكرة بمشاعر طفولية هى اصداء القطاف فى عمر النضوج عبر لوحة وخاطرة. فتجد فى أعمالها سيارة محملة بحقائب سفر وكتب وأمتعة مختلفة، وهو ما يجسد رسالة صارخة فى هذا العصر الذى يتخبّط فيه الشعب اللبنانى بين فكرة الرحيل والبقاء فى الوطن وصعوبة حزم الأشياء مثل الذكريات والحنين التى تدفعهم إلى البقاء حتى إشعار آخر.

الفنانة التشكيلية التى أقامت منذ عام 2002 معارض فردية فى لبنان والولايات المتحدة وفرنسا، شاركت فى معارض جماعية عديدة وكتبت الشعر بلغة رصينة مع أعمالها الفنية. ومن مؤلفاتها ديوان "أصداء" و"بين نجلا وميا". تتميز أعمالها المكتوبة والمرسومة بالحديث عن عبق الماضى والحنين إلى زمن الأجداد.

وإن بات المستقبل مجهولا، وربما يشعرنا بالخوف، لكنها تعرب عن آسفها بسبب الدخول فى موجه جارفة «سلبت منا الحلم والبساطة والتقاليد والقيم والعاطفة التى تربينا عليها والتى تحدثت عنها كثيرا فى كتابى وربما عبرت عن ذلك فى وصف المحبة بانها مهنة جدتي».

وتحمّل ماجدة شعبان للأجيال الحالية مسئولية أن تنقل القيم التى حملوها من الأجداد إلى الجيل الآخر.. كما تنصح الشباب بأن يسعى خلف حلمه وشغفه بالحياة.

من أعمال الفنانة «ماجدة شعبان»